أولاً: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة :

لم يبدأ ابن قتيبة كتابه، بخطبة للكتاب يبين فيها هدفه ومنهجه كعادة القدماء في كتبهم ؛ بل بدأه مباشرة بثناء على أسلوب القرآن الكريم وبلاغة الإيجاز فيه، حيث تناول عدداً غير قليل من آياته مبرزاً في شرحه لها هذا الجانب من بلاغته، فيما يشبه أن يكون توطئة للدخول في الموضوع الأساسي للكتاب، أشار فيها على عجل إلى بعض المطاعن في القرآن وأوجز في الرد عليها، وأثنى في خلال هذا على بلاغة العرب ذاكراً بعض خصائص العربية في التعبير ممهداً بها لأجوبته عن المسائل التي ستأتي فيما بعد، ليفرغ بعد ذلك إلى عدها واحدةً بعد الأخرى، ثم إفراد كل منها بجواب مسهب أحياناً ووجيز أحياناً أخرى عما فيها من تفاصيل، وهذا الجواب يستغرق معظم الكتاب.

ويستطيع قارئ هذا الكتاب أن يتبين الموضوعات الأساسية لبحث المشكل من خلال العناوين التي اتخذها ابن قتيبة لفصوله الأولى، ويلاحظ أن هذه المباحث تمثل عدداً من المباحث الأساسية في الكتب التي جمعت أنواع علوم القرآن كالبرهان والإتقان، كما أن بعضها عناوين مشتهرة لمباحث بلاغية ربما تكون قد استمدت موضوعاتها الفكرية الأساسية من عناوين مباحث قرآنية صارت فيما بعد فروعاً للبلاغة، كأنما كان بحث الدلالة التطبيقي في العلوم القرآنية مصدراً لكثير من المباحث النظرية التي شغلت بها العلوم العربية.

ويمكننا أن نصنف فصول الكتاب، تبعاً للمكان الذي اتخذته بعد ذلك في كل من علوم العربية كما وصلتنا :

فينتمي «باب الرد عليهم في وجوه القراءات» كما هو واضح من اسمه إلى فرعين من العلم الإسلامي، إلى علم القراءات من جهة، وإلى علم اللغة التطبيقي من جهة أخرى، فتوجيه القراءات، الذي اشتهر بكثير من مسائله النحوية، مملوءٌ أيضاً بتطبيقات فروع علم اللغة كالصوتيات والدلالة ودلالة التراكيب، وتوجيه القراءات أكثره معتمد على توجُّه فهم الدلالة، وما يصيبها من تغير إذا تغيرت القراءة، وقد شغل العلماء أكثر ما شغلوا بالبحث عن وجه للإعراب في تلك الآيات التي كان ينتج فيها التغير الصوتي والتركيبي تغيراً دلاليا يترتب عليه تغير في القيمة الدلالية للرسالة اللغوية التي يحملها النص، أما النوع الآخر، حيث لم يكن التغير الصوتي يصيب الدلالة بأكثر من تغير